Journal Of the Iraqia University (76-5) August (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

سيميائيات الصراع الطبقي في رواية الرمادي

الكاتب المسؤول د.شهريار همتي أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وأدابها. جامعة رازى – كرمانشاه – أيران.

هديل طه رحيم

جامعة الرازي –كرمانشاه كلية الآداب والعلوم الأنسانية قسم اللغة العربية وآدابها

Semiotics of Class Conflict in the Novel "Al-Ramadi" (The Gray)

tahahadeel777@gmail.com
sh.hemati@yahoo.com

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة سيميائيات الصراع الطبقي في رواية "الرمادي" ، بوصفها نصاً روائياً يشتغل على ثنائية الغني والفقير، والمركز والهامش، والسلطة والمهمشين، في إطار من السخرية السوداء والتشويق الاجتماعي الذي يمثل نموذجاً فريداً للأدب الواقعي النقدي المعاصر. تهدف الدراسة إلى الكشف عن الكيفية التي وظف بها الكاتب العلامات والرموز السردية لتجسيد الصراع الطبقي في مجتمع يعيش فيه الأغنياء في فضاءات مترفة بينما يعاني الفقراء من البؤس والشقاء، وكيف تتحول السرقة من جريمة إلى فعل مقاومة وانتصار للضعفاء. اعتمد البحث المنهج السيميائي التحليلي لاستنطاق الأنساق المضمرة في النص، وقسمت الدراسة إلى تمهيد وثلاثة مباحث رئيسية وخاتمة؛ تناول التمهيد الأسس النظرية للسيميائيات والصراع الطبقي في الأدب الواقعي، وركز المبحث الأول على "سيميائيات الفضاءات الطبقية" من خلال تحليل دلالة الجهة الشرقية (رمز الثراء) والجهة الغربية (رمز الفقر) والمزرعة (رمز الهامش)، وركز المبحث الثاني على "سيميائيات الشخصيات الطبقية" من خلال دراسة شخصيات خليل (رمز الفقير المقاوم)، سمير (رمز الغني المستبد)، وأمين (رمز الخائن الطبقي)، والقاضية (رمز السلطة الفاسدة)، بينما ركز المبحث الثالث على "سيميائيات الصراع الطبقي" من خلال تحليل السرقة كفعل مقاومة، والصفقة كفضح للفساد، والسخرية كسلاح نقدي. تخلص الدراسة إلى أن الرواية لا تكتفي بتصوير الصراع الطبقي، بل تقدم تشريحاً سيميائياً لآليات التراتبية الاجتماعية، مؤكدةً أن الفقر ليس مجرد حالة اقتصادية، بل هو نظام سيميائي ينتج علامات الاغتراب والتهميش، وأن الثراء ليس مجرد وفرة مادية، بل هو نظام سيميائي ينتج علامات القمع والاستبداد والفساد.

الكلمات المفتاحية: سيميائيات الصراع الطبقي، الرمادي، الفقر، الثراء، السرقة، المقاومة، الفساد، الهامش.

Abstract

This research examines the semiotics of class conflict in the novel "Al-Ramadi" (The Gray) , as a narrative text that operates on the duality of rich and poor, center and margin, power and the marginalized, within a framework of black humor and social suspense that represents a unique model of contemporary critical realist literature. The study aims to reveal how the author employs signs and narrative symbols to embody class conflict in a society where the rich live in luxurious spaces while the poor suffer from misery and hardship, and how theft transforms from a crime into an act of resistance and victory for the weak. The research adopts a semiotic analytical approach to explore the implicit patterns within the text and is divided into an introduction, three main sections, and a conclusion. The introduction addresses the theoretical foundations of semiotics and class conflict in realist literature. The first section focuses on the "semiotics of class spaces" through analyzing the significance of the eastern district (symbol of wealth), the western district (symbol of poverty), and the farm (symbol of the margin). The second section focuses on the "semiotics of class characters" through studying the characters of Khalil (symbol of the resisting poor), Samir (symbol of the tyrannical rich), Amin (symbol of the class traitor), and the judge (symbol of corrupt power). The third section focuses on the "semiotics of class conflict" through analyzing theft as an act of resistance, the deal as an exposure of corruption, and sarcasm as a critical weapon. The study concludes that the novel does not merely depict class conflict but presents a semiotic dissection of the mechanisms of social hierarchy, affirming that poverty is not merely an economic condition but a semiotic system that

produces signs of alienation and marginalization, and that wealth is not merely material abundance but a semiotic system that produces signs of oppression, tyranny, and corruption.

Keywords: Semiotics of Class Conflict, Al-Ramadi, The Gray, Poverty, Wealth, Theft, Resistance, Corruption, Margin.

المقدمة

تُعد ثنائية الغني والفقير، والمركز والهامش، والسلطة والمهمشين، من أكثر الثنائيات إثارة في الأدب الواقعي النقدي، فهي تعكس الصراع الإنساني بين الطبقات الاجتماعية، وتكشف عن آليات القمع والاستبداد التي تمارسها النخب الحاكمة ضد الفقراء والمهمشين. وفي سياق الأدب العربي المعاصر، اكتسب هذا الصراع زخماً ملحوظاً، لتصبح الرواية منبراً للتعبير عن الظلم الاجتماعي، والتساؤل عن العدالة والمصير في ظل أنظمة طبقية قاسية، خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع الثروة والسلطة، وبين الفضاءات المترفة والفضاءات المهمشة.تأتي رواية "الرمادي" لتشكل إضافة نوعية لهذا التيار الأدبي، مقدمةً نموذجاً سردياً فريداً يزاوج بين الواقعية النقدية والسخرية السوداء، ويسبر أغوار الصراع الطبقي في مجتمع عربي يعيش فيه الأغنياء في فضاءات مترفة بينما يعاني الفقراء من البؤس والشقاء. تدور أحداث الرواية حول البطل "خليل"، شاب فقير من الجهة الغربية يعمل عتالاً أحياناً، ويلازم جدار المدرسة أحياناً أخرى، يعيش في عائلة فقيرة في بيت بالكاد يحميهم من الحر والبرد. يخطط خليل مع صديقه "أمين" لسرقة منزل قاضية من الجهة الشرقية، لكن الأحداث تأخذ منحى مغايراً حين يكتشف خليل أن أمين قد خانه، وأن سمير (خطيب ابنة القاضية) هو العقل المدبر للعملية، وأن الهدف الحقيقي ليس المال فقط، بل اغتصاب سارة ابنة القاضية. يتدخل خليل لإنقاذ سارة، ويصاب سمير وأمين بجروح، ويهرب خليل بالمال. لكن المفاجأة الكبرى تأتي حين تظهر سارة في مزرعة صديق خليل "أحمد"، لتخبره بأنها عقدت صفقة مع أمها والمصرفي لإطلاق سراحه مقابل التزام الصمت، وأن سمير قد خرج حراً طليقاً.تتميز الرواية بكونها مرآة نقدية للصراع الطبقي، حيث تتجلى السيميائيات عبر عدة أنساق مضمرة، منها سيميائية الفضاءات (الجهة الشرقية رمز الثراء، والجهة الغربية رمز الفقر، والمزرعة رمز الهامش)، وسيميائية الشخصيات (خليل رمز الفقير المقاوم، سمير رمز الغني المستبد، أمين رمز الخائن الطبقي، القاضية رمز السلطة الفاسدة)، وسيميائية الصراع (السرقة كفعل مقاومة، والصفقة كفضح للفساد، والسخرية كسلاح نقدي). كما تبرز الرواية صراعاً بين العدالة الظالمة والعدالة المنتصرة للضعفاء، وتوظف تقنيات سردية مثل السرد بضمير المتكلم، والحوار الداخلي، والسخرية السوداء، والوصف الرمزي، لتقديم رؤية نقدية للواقع الاجتماعي.انطلاقاً من هذه المعطيات، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن سيميائيات الصراع الطبقي في رواية "الرمادي" ، وتحليل كيفية صياغة الكاتب لهذه الملامح عبر بنيتها السردية والفنية. وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن تساؤلات رئيسة، أهمها: ما هي أبرز تمثلات الصراع الطبقي في هذه الرواية؟ وكيف وظف الكاتب العلامات والرموز السردية لتجسيد هذه التمثلات؟ وما هي الدلالات الفلسفية والنقدية التي تحملها هذه السيميائيات؟ وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تخرج في تمهيد وثلاثة مباحث رئيسية تسبقهما مقدمة، وتعقبها خاتمة تتضمن أبرز النتائج والتوصيات، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

تمهيد: سيميائيات الصراع الطبقي في الأدب الواقعي

تقف سيميائيات الصراع الطبقي في مكانة خاصة بين الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، لا لأنها تصف ظاهرة اجتماعية فحسب، بل لأنها تفعل ذلك بوعي نقدي مضمر يجعل من الخيال وسيلة لفهم أعمق للواقع الاجتماعي. وما يميز هذا الحقل النقدي أنه لا يكتفي بوصف العلاقات السطحية بين الطبقات، بل يتجاوزها إلى التعبير عن المعاني العميقة من خلال الإيحاء والرمز، محولاً الصراع الطبقي إلى مادة جمالية تُعري المسكوت عنه وتُضيء ما تُخفيه الأيديولوجيات المسيطرة.وللوقوف على أصول هذا المفهوم، لا بدّ من العودة إلى الجذور السيميائية التي تحمل في طياتها دلالةً مكثفة؛ فالطبقة في السيميائيات "ليست مجرد موقع اقتصادي، بل هي نظام من العلامات والرموز التي تحدد هوية الأفراد والجماعات، وتنتج خطابات التراتبية والقمع والإقصاء" (البحيري، ٢٠٢١، ٢٠٠). وهذا التقابل بين الطبقات ليس مجرد وصف لواقع مادي، بل هو محرك فلسفي يكشف كيف أن الصراع الطبقي في النصوص الأدبية لا يقتصر على الصراع الاقتصادي، بل يمتد إلى الصراع الرمزي على المعنى والهوية والكرامة.لقد اهتمت السيميائيات الحديثة، وخاصة منذ أعمال رولان بارت وبيير بورديو، بدراسة العلامات الطبقية بوصفها نظاماً دالاً يتجاوز حدود الاقتصاد إلى كل ما يمكن أن يحمل دلالة في الثقافة الإنسانية. وفي هذا السياق، يُعد الصراع الطبقي أداة مركزية في الأدب الواقعي النقدي، إذ تتيح للكاتب التعبير عن قضايا العدالة الاجتماعية بطريقة غير مباشرة، تجمع بين الجمالي والنقدي، وبين الخاص والعام. وقد أشار بيير بورديو إلى أن "التمييز الطبقي لا يقتصر على الاختلاف في الثروة، بل يمتد إلى الاختلاف في الأذواق والرموز والعلامات التي تحدد الانتماء الطبقي" (بورديو، ١٩٨٤، ٤٥). وهذا ما ينطبق بشكل خاص على رواية "الرمادي"، حيث تتحول الفضاءات والملابس والأسماء إلى نظام سيميائي معقد يحمل دلالات متشابكة حول الانتماء الطبقي.ولعل أبرز ما يميز الأدب الواقعي النقدي المعاصر أنه لا يكتفي بتصوير الصراع الطبقي، بل يضعه في سياق فكري وأيديولوجي

محدد، إذ يتمحور حول "التأكيد على عدم عدالة التوزيع الطبقي، وانتشار آليات القمع والاستغلال، وتفشي الفساد وهيمنة النخب، وتهميش الفقراء والمحرومين، وغير ذلك مما تفرزه الأنظمة الرأسمالية والسلطوية" (أبو طالب وآخرون، ٢٠٢٥، ٣٣٢). وهذا التشخيص يكشف أن الصراع الطبقي في الأدب ليس مجرد موضوع، بل هو رؤية نقدية للواقع، تعكس وعياً بآليات القمع الاجتماعي، وتدعو إلى التغيير والعدالة.وفي هذا الفضاء السردي، تتراكم علامات الصراع الطبقي لتُشكّل نسيجاً مكثفاً بالدلالات، حيث يصبح كل رمز بوابة لفهم أعمق للواقع الاجتماعي. وما يستوقف الناقد هنا هو تلك الازدواجية الجوهرية في بنية الصراع الطبقي: فالثراء ينتج علامات الترف والاستبداد، والفقر ينتج علامات البؤس والمقاومة، والسلطة تنتج علامات القمع، والهامش ينتج علامات التمرد. وهذا التداخل هو ما يمنح النص الأدبي عمقه وجماليته النقدية.وتأسيساً على هذه الرؤى النقدية المتراكبة، تنبثق رواية "الرمادي" من هذا الفضاء المفاهيمي لتُشكّل تجربة سردية خاصة، تمزج بين السخرية السوداء ونقد الصراع الطبقي. ومن ثم تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الآليات السيميائية التي وظفها الكاتب في بناء عالمه السردي، وتتبّع تمثلاتها على مستوى الفضاءات والشخصيات والصراع، وصولاً إلى فهم أعمق لما تقوله هذه الرواية عن الصراع الطبقي في المجتمع العربي المعاصر.

المبحث الأول: سيميائيات الفضاءات الطبقية

يتخذ الفضاء المكاني في رواية "الرمادي" شكلاً رمزياً معقداً يعيد إنتاج الصراع الطبقي من خلال فضاءات متعددة، حيث لا تغدو الجهة الشرقية والجهة الغربية والمزرعة مجرد خلفيات مكانية، بل هي رموز تحمل دلالات عميقة تتعلق بالثراء والفقر والهامش والسلطة. إن هذه الفضاءات تعكس بنية اجتماعية مفخخة تعيش فيها الشخصيات بين فضاء الترف وفضاء البؤس، وبين المركز والهامش، وبين السلطة والتهميش.وتتجلى أيضاً سيميائية الفضاءات في الرواية من خلال تدرجها الدلالي: فالجهة الشرقية تمثل فضاء الثراء والسلطة والنظام، والجهة الغربية تمثل فضاء الفقر والتهميش والفوضى، والمزرعة تمثل فضاء الهامش والملجأ والغربة. هذه الفضاءات الثلاثة تشكل معاً نظاماً سيميائياً متكاملاً يعكس جغرافية الصراع الطبقي في الرواية.

أولاً: الجهة الشرقية رمزاً للثراء والسلطة

تمثل الجهة الشرقية في رواية "الرمادي" رمزاً مركزياً للثراء والسلطة، حيث تتحول من مجرد منطقة جغرافية إلى علامة سيميائية تحمل دلالات الترف، والنفوذ، والاستبداد، والفساد. فالجهة الشرقية هي فضاء الأغنياء، فضاء القضاة والمصرفيين، فضاء النوادي والملهيات، فضاء النظام والترتيب.

يقول الكاتب في وصف الجهة الشرقية: "ربيعاً والتي تمضي جل أوقاتها ما بين الجامعة والنادي الرياضي للسباحة تتبادل النكت هنا وهناك مع فتيات الجهة الشرقية الأثرياء.. للعلم فقط والمرة أضحكتني نكتة من نكاتهم" (الرواية، ص٣)الجهة الشرقية هنا ليست مجرد مكان، بل هي فضاء للترفيه، للترف، للتباهي. النكت التي يتبادلها الأثرياء هي علامة سيميائية على رفاهيتهم، على انشغالهم بالمتعة بينما يعاني الفقراء في الجهة الغربية. هذا التباين بين اللهو هنا والبؤس هناك هو جوهر سيميائية الصراع الطبقي.وتتضاعف دلالة الجهة الشرقية في وصف منزل القاضية: "منزل فارغ من الجهة الشرقية وابنتها سارة ذات العشرين ربيعاً والتي تمضي جل أوقاتها ما بين الجامعة والنادي الرياضي للسباحة" (الرواية، ص٣). منزل القاضية في الجهة الشرقية هو نموذج للثراء الطبقي. القاضية التي تمثل السلطة القضائية، تعيش في فضاء مترف، بينما الفقراء يعيشون في أكواخ بالكاد تحميهم من العناصر. هذا التباين المكاني يعكس التباين الطبقي، ويكشف عن تناقض النظام الاجتماعي الذي يجعل القاضي (رمز العدالة) يعيش في ترف بينما يغرق الفقراء في البؤس.ويكشف الكاتب عن فساد الجهة الشرقية من خلال وصف مصادر ثروة القاضية: "كيف لموظفة حكومية تتقاضى أجراً متوسطاً أن تتمكن من جمع كل هذه الأموال؟، إنه الفساد الذي صنع مني لصاً لا يرحم" (الرواية، ص١٠). هنا تظهر الجهة الشرقية ليس فقط كفضاء للثراء، بل كفضاء للفساد. القاضية التي يفترض أن تكون رمزاً للعدالة، تجمع ثروة طائلة من الفساد. وهذا الفساد هو ما يبرر في نظر البطل (خليل) سرقته، لأنها تصبح "أخذاً من ثري لإعطاء فقير".

ثانياً: الجهة الغربية رمزاً للفقر والتهميش

تمثل الجهة الغربية في رواية "الرمادي" رمزاً للفقر والتهميش، حيث تتحول من مجرد منطقة جغرافية إلى علامة سيميائية تحمل دلالات البؤس، والشقاء، والحرمان، والمقاومة. فالجهة الغربية هي فضاء الفقراء، فضاء العتالة والكفاح، فضاء البيوت المتداعية، فضاء المعاناة اليومية.يقول الكاتب في وصف الجهة الغربية من خلال وصف بيت البطل: "عائلة جد محافظة لا تكاد تسمع غير الحوارات الدينية تتردد في أرجاء بيتنا الذي لا يكاد يتجاوز الصفر ضمن سلم أبشع عشر بيوت حول العالم فهو يفتقر إلى أضعف ركن من أركان سكن العيش ..لا يقيك حر الصيف ولا يحميك من برد الشتاء حتى الأمطار قد وضعنا لها عدة أوانٍ بلاستيكية لتجمع الماء منها" (الرواية، ص٢).الجهة الغربية هنا هي فضاء البؤس المدقع. البيت الذي لا يكاد يتجاوز الصفر في سلم العيش، والذي لا يقيك حر الصيف ولا برد الشتاء، هو علامة سيميائية على الفقر المدقع. الأواني البلاستيكية

التي تجمع ماء المطر هي صورة مؤثرة للفقر، للعجز عن توفير أبسط مقومات الحياة.وتتضح سيميائية الفقر في وصف حياة خليل اليومية: "مرات عتال وفي كثير من الأحيان أبقى ملازماً جدار المدرسة، يقابلني من هناك عمي أحمد حارس المدرسة وقد ضم جيراننا أمثال سنه كعمي مختار صاحب بقالة الحي من عمره وبدأت تظهر عليه آثار الشيخوخة" (الرواية، ص٢)العمل كعتال، وملازمة جدار المدرسة، كلها علامات على التهميش الطبقي. خليل لا يجد عملاً ثابتاً، بل يعيش على هامش الاقتصاد، كما تعيش الجهة الغربية على هامش المدينة. ومقابلته لعمي أحمد وعمي مختار (حارس المدرسة وصاحب البقالة) تعكس أن الفقراء يعرفون بعضهم، لأنهم يعيشون في نفس الفضاء المهمش.وتبلغ سيميائية الفقر ذروتها في وصف عائلة خليل: "نظام عيشنا كله معطوب ..فهل سيكون لتعطل الحنفية أثر يذكر في نفوس عائلتنا المكونة من ٥ أفراد أنا سادسهم" (الرواية، ص٢). تعطل الحنفية هنا ليس مجرد عطل تقني، بل هو علامة سيميائية على تعطل النظام الاجتماعي كله. الأسرة المكونة من ستة أفراد تعاني من عطل في أبسط مرافق الحياة، وهذا يعكس تعطل العدالة الاجتماعية، وتعطل توزيع الثروة، وتعطل النظام الطبقي بأسره.

ثالثاً: المزرعة رمزاً للهامش والملجأ

تمثل المزرعة في رواية "الرمادي" رمزاً للهامش والملجأ، حيث تتحول من مجرد مكان زراعي إلى علامة سيميائية تحمل دلالات العزلة، والهروب، والغربة، والانتظار. فالمزرعة هي الفضاء الذي يلجأ إليه خليل بعد سرقته، وهي الفضاء الذي يلتقي فيه مجدداً بسارة، وهي الفضاء الذي تتكشف فيه حقيقة الصفقة.يقول الكاتب في وصول خليل إلى المزرعة: "صحت من خارج أسوار المزرعة: أحمد.. أحمد.. مع العلم أنه شخص يخاف من ظله وإذا أردت زيارته ليلاً عليك بإخباره سلفاً لكي لا يظنك لصاً ويطلق النار عليك" (الرواية، ص١٣). المزرعة هنا هي فضاء الخوف والتردد. أحمد يخاف من ظله، وهذا الخوف يعكس خوف الهامش من المركز، خوف الفقراء من الأغنياء، خوف الضعفاء من الأقوياء. والمزرعة، بوصفها فضاءً معزولاً، تصبح ملجأً لمن يهربون من العدالة الظالمة.وتتضح سيميائية المزرعة في حوار خليل مع أحمد: "هل تقصد أنك قتلت أمين وذلك المدعو سمير..؟ أجل أظن أنني قتلتهم علي الاختباء عندك أياماً يا أحمد ومن هنا سأخطط لطريقة لمغادرة البلاد" (الرواية، ص١٣). المزرعة هنا هي فضاء الاختباء، فضاء التخطيط للهروب، فضاء الانتظار. وهي بذلك تعكس وضع الهامش في المجتمع: مكان للاختباء، وليس مكاناً للظهور، مكان للانتظار، وليس مكاناً للفعل.وتبلغ المزرعة ذروتها الدلالية في مشهد لقاء خليل بسارة: "دخلت المزرعة لأتفاجأ برؤية أحمد جالساً على الأريكة مع سارة" (الرواية، ص١٥). المزرعة هنا تتحول إلى فضاء للمفاجأة، فضاء لمواجهة الحقيقة، فضاء لكشف الأقنعة. سارة التي كانت ضحية في الجهة الشرقية، تظهر في المزرعة (الهامش) لتكشف عن الصفقة التي تمت بين أمها والمصرفي، وعن إطلاق سراح سمير رغم جريمته. وهذا يكشف أن الفساد لا يقتصر على الجهة الشرقية، بل يمتد ليشمل كل النظام، وأن الهامش ليس ملجأً آمناً، بل هو جزء من اللعبة الطبقية.

المبحث الثاني: سيميائيات الشخصيات الطبقية

لا تكتفي رواية "الرمادي" ببناء عالم من الرموز المكانية، بل تمضي إلى ما هو أعمق: سيميائية الشخصيات، حيث تتشابك علامات الانتماء الطبقي لتشكل نظاماً سيميائياً معقداً يكشف عن أدوار الشخصيات في الصراع الطبقي. فكل شخصية في الرواية تحمل دلالة سيميائية محددة، وتلعب دوراً في إنتاج معنى الصراع الطبقي.يتوزع هذا المبحث على ثلاثة محاور: خليل رمز الفقير المقاوم، سمير رمز الغني المستبد، أمين رمز الخائن الطبقي، والقاضية رمز السلطة الفاسدة. هذه الشخصيات تشكل معاً نظاماً سيميائياً متكاملاً يعكس أطراف الصراع الطبقي في الرواية.

أولاً: خليل رمز الفقير المقاوم

يمثل خليل في رواية "الرمادي" رمز الفقير المقاوم، فهو البطل الذي ينحدر من الجهة الغربية، ويعيش حياة البؤس والشقاء، لكنه يمتلك قلباً جسوراً ومبادئ أخلاقية تمنعه من أن يكون مجرد لص عادي. خليل هو الصوت الناقد للنظام الطبقي، وهو الفعل المقاوم للظلم الاجتماعي.يقول الكاتب في تعريف خليل بنفسه: "أنا خليل وأبلغ من العمر ٢٧ سنة أما عن عملي فأم أمارس أي عمل محدد، مرات عتال وفي كثير من الأحيان أبقى ملازماً جدار المدرسة" (الرواية، ص٢).خليل هنا يعرف نفسه بعدم وجود هوية مهنية ثابتة. هو ليس عاملاً، ولا موظفاً، ولا تاجراً، بل هو "عتال" أحياناً، و"ملازم جدار المدرسة" أحياناً أخرى. هذا الغياب للهوية المهنية يعكس غياب الهوية الطبقية المستقرة، ويعكس التهميش الذي يعيشه أبناء الجهة الغربية.وتتضح سيميائية خليل كفقير مقاوم في تبريره لسرقاته: "ففي النهاية لن أضطر لتقاسم المال مع أحد... على الرغم من كوني لصاً إلا أنني لم أغدر يوماً بصديق ولم أسرق يوماً فقيراً لدي ضمير يؤنبني دائماً فأبرر له سرقاتي بأنها أخذ من ثري لإعطاء فقير، مريض ويتيم حتى أنني أعطي النساء اللواتي يبعن أجسامهن من أجل إطعام صغارهن جزءاً من مداخيلي" (الرواية، ص٧-٨).خليل هنا يقدم نفسه كـ"لص أخلاقي"، كـ"روبن هود" كما يسخر منه أحمد. هو لا يسرق للثراء الشخصي، بل يسرق لأخذ من الأغنياء وإعطاء الفقراء. وهذا التبرير الأخلاقي للسرقة يعكس وعياً طبقياً، حيث يرى خليل أن النظام الاجتماعي ظالم، وأن السرقة تصبح فعلاً مشروعاً في مواجهة هذا الظلم.ويبلغ خليل ذروته كفقير مقاوم في مواجهته

لسمير وأمين: "هل تظن حقاً أني أكترث لمالك يا غبي..؟ أم هل تظن أنك ستشتريني..؟ أتعرف ما هي مشكلتكم أنكم تظنون أن كل شيء من حولكم له ثمن" (الرواية، ص١١).هنا يظهر خليل كصوت ناقد للأيديولوجية الطبقية التي تختزل كل شيء في المال. سمير يعتقد أنه يستطيع شراء خليل بالمال، لكن خليل يرفض هذا المنطق، ويكشف عن جوهر الصراع الطبقي: الأغنياء لا يفهمون أن الفقراء يمتلكون كرامة وقيماً لا تقدر بثمن.

ثانياً: سمير رمز الغني المستبد

يمثل سمير في رواية "الرمادي" رمز الغني المستبد، فهو الشاب الثري الذي يستخدم نفوذ والده المصرفي للاستيلاء على ما يريد، دون أي اعتبار للأخلاق أو الكرامة الإنسانية. سمير هو نموذج للطبقة الغنية التي تعتقد أن كل شيء له ثمن، وأنها تستطيع شراء أي شيء، بما في ذلك الكرامة الإنسانية.يقول الكاتب في وصف سمير: "جاء شاب ثري اسمه سمير للعيش في المدينة وقد سمعت إدارة النادي بأنه من عشاق كرة القدم فقرروا منحه فرصة العمر وهي اللعب لصفوف النادي مع أنه لم يكن يحلم بلعب الكرة في يوم من الأيام فلجسمه لا يسمح له بذلك فهو بدين.. ولا عقله المتبلد بهينة لذلك.. فكل ما يعرفه عن هذه اللعبة اكتسبه من وراء الشاشة ..لم يلعب يوماً حافي القدمين في ملعب أرضيته تعج بالأشواك.. الحجارة.. وحتى النفايات. لم تداعب قدمه يوماً كرة ملئت بالعشب والقماش" (الرواية، ص٣)سمير هنا هو نموذج للغني الذي يحصل على كل شيء دون عناء. هو بدين، وعقله متبلد، لكنه يحصل على فرصة اللعب في النادي لمجرد أن والده مصرفي. وهذا يعكس كيف يعمل النظام الطبقي: من يملك المال يملك الفرص، بغض النظر عن الكفاءة.وتتضح بشاعة سمير في كشفه عن دوافعه الحقيقية للزواج من سارة: "لقد طلبت لمسها مرات عديدة وفي جميعها كانت تصدني.. هل تظن أنها فاضلة إلى هذه الدرجة كلها..؟ سأغتصبها وبعد مدة سأفسخ الخطوبة ولنرى بعد ذلك من سيتزوجها..!" (الرواية، ص١٠)سمير هنا يكشف عن وجهه الحقيقي كغني مستبد، يعتقد أن كل شيء ملك له، بما في ذلك جسد سارة. رفض سارة له يجرح غروره الطبقي، فيقرر اغتصابها، معتقداً أن المال والسلطة يسمحان له بفعل ما يشاء.

ثالثاً: أمين رمز الخائن الطبقي

يمثل أمين في رواية "الرمادي" رمز الخائن الطبقي، فهو الفقير الذي يتخلى عن انتمائه الطبقي، ويتحالف مع الأغنياء ضد أبناء طبقته. أمين هو نموذج للذين يخونون مبادئهم من أجل المال، والذين يساعدون الأغنياء في استغلال الفقراء.يقول الكاتب في كشف خيانة أمين: "قبل بضعة أسابيع قدم إلي عرضاً مفاده تنفيذ عملية سرقة تكاد تكون مثالية لسهولتها التامة... وبعد كل هذا العناء أسمح له أن يضيع كل هذا المجهود لا سأقوم بالعملية وحيداً" (الرواية، ص٥)أمين هنا يبدو كشريك في السرقة، لكنه في الحقيقة يخطط لخيانة خليل. هو يستغل معرفته بخليل، ويقدم له عرضاً وهمياً، بينما يتعاون مع سمير لتنفيذ مخطط أكثر إجراماً.وتتضح خيانة أمين الطبقي في مشهد المؤامرة: "دخل غرفة الإستقبال مصطلحاً معه حبيبنا سمير.. يا لهذا الثنائي العفن كيف يعقل هذا؟ ماليين بل قل ماليير من التكهنات والتخمينات تحوم في عقلي وأنا لم أستوعب بعد بشاعة ما رأيت صديقي مع عدوي في صف واحد..؟" (الرواية، ص٧)أمين هنا يظهر في صف سمير، عدو خليل الطبقي. هذه الخيانة ليست مجرد خيانة شخصية، بل هي خيانة طبقية، حيث يتحالف أمين مع الأغنياء ضد أبناء طبقته من الفقراء.ويبلغ أمين ذروته في خيانته عندما يوافق على اغتصاب سارة: "ليرد السافل الآخر (يقصد أمين): أجل وسأعطيك نصف حصتي من المال فلدي ما يكفيني لعيش عشر حيوات أخرى" (الرواية، ص١٠)أمين هنا يوافق على اغتصاب سارة مقابل المال. هذا هو قمة الخيانة الطبقية: الفقير الذي يتخلى عن كل قيمه الأخلاقية من أجل المال، والذي يشارك في اضطهاد امرأة من طبقته (فقيرة مثله) لمجرد المال.

رابعاً: القاضية رمز السلطة الفاسدة

تمثل القاضية (أم سارة) في رواية "الرمادي" رمز السلطة الفاسدة، فهي القاضية التي يفترض أن تمثل العدالة، لكنها تستخدم نفوذها لحماية مصالحها الطبقية، وتتفاوض مع المصرفي لإطلاق سراح ابنه المغتصب، وتبرم صفقة لتغطية الفساد.يقول الكاتب في وصف فساد القاضية: "كيف لموظفة حكومية تتقاضى أجراً متوسطاً أن تتمكن من جمع كل هذه الأموال؟، إنه الفساد الذي صنع مني لصاً لا يرحم" (الرواية، ص١٠)القاضية هنا تجمع ثروة طائلة من الفساد، رغم أن راتبها متوسط. هذا الفساد هو الذي يبرر سرقة خليل، وهو الذي يكشف عن تناقض النظام الطبقي: القاضي الذي يفترض أن يكون رمزاً للعدالة، هو نفسه فاسد.وتتضح سيميائية السلطة الفاسدة في صفقة القاضية مع المصرفي: "لقد عقدنا... صفقة مفادها تكفل المصرفي بإرجاع كل الأموال التي سرقتها مع تعويض الضرر الذي ألحقه ابنه مادياً مقابل براءة ابنه كما يتكفل بإعطاء أمين بضع رزماً من المال مقابل تحمله تبعات القضية وحده... وكان شرطي الوحيد عدم ذكرك في أي محضر تحقيق... لقد تم الاتفاق على الشروط ووافق عليها أمين" (الرواية، ص١٦).القاضية هنا تبرم صفقة مع المصرفي لإطلاق سراح ابنه المغتصب، وتحميل أمين (الخائن الطبقي) تبعات القضية وحده. هذا هو قمة الفساد: السلطة القضائية تستخدم لحماية الأغنياء وتجريم الفقراء، والعدالة تصبح سلعة تباع وتشترى.

المبحث الثالث: سيميائيات الصراع الطبقي

لا تكتفي رواية "الرمادي" ببناء عالم من الرموز المكانية والشخصيات، بل تمضي إلى ما هو أعمق: سيميائية الصراع الطبقي نفسه، حيث تتشابك علامات المقاومة والفساد والخيانة لتشكل نظاماً سيميائياً معقداً يكشف عن آليات الصراع الطبقي في المجتمع.يتوزع هذا المبحث على ثلاثة محاور: السرقة كفعل مقاومة، والصفقة كفضح للفساد، والسخرية كسلاح نقدي. هذه المحاور الثلاثة تشكل معاً نظاماً سيميائياً متكاملاً يعكس رحلة الصراع الطبقي من المقاومة إلى المواجهة، ثم إلى كشف زيف النظام.

أولاً: السرقة كفعل مقاومة

تمثل السرقة في رواية "الرمادي" أكثر من مجرد جريمة، بل هي فعل مقاومة ضد النظام الطبقي الظالم. خليل لا يسرق لأنه لص عادي، بل لأنه يرى في السرقة وسيلة لأخذ حق الفقراء من الأغنياء المستبدين.يقول الكاتب على لسان خليل: "ففي مملكة الظلم لا بد لأحد أن ينتفض وينتصر للفقراء الضعفاء من الأغنياء المستبدين كما أن الغني الذي أسرقه سيضطر لطبع أوراق نقدية جديدة فقط..! أما الفقير المضطهد الذي أقامسه طعامي سأخلصه من حمل مئات الأكياس الثقيلة والتي أجر حملها لا يستحق كل ذلك العناء فأجرها بالكاد يكفي لشراء رغيف الخبز" (الرواية، ص٨)السرقة هنا تتحول من جريمة إلى فعل سياسي، من عمل فردي إلى مقاومة طبقية. خليل يرى نفسه ممثلاً للفقراء، منتصراً للضعفاء، ثائراً على نظام يظلمهم. وهذا التبرير الأخلاقي للسرقة يعكس وعياً طبقياً، حيث يرى البطل أن النظام الاجتماعي ظالم، وأن السرقة تصبح فعلاً مشروعاً في مواجهة هذا الظلم. المال الذي يسرقه من الأغنياء لا يؤثر فيهم (سيضطرون لطبع أوراق نقدية جديدة)، بينما يساعد الفقراء على تجاوز معاناتهم اليومية.وتتضح سيميائية السرقة كفعل مقاومة في مشروع خليل لاستخدام المال: "سأؤسس مطعماً في الحي للفقراء يأكلون بالمجان وسأقوم بطلاء جدران الحي بألوان بهيجة تزرع الفرحة في نفوس الأطفال فهم لم يعرفوا الألوان إلا في الكتب المدرسية" (الرواية، ص١٠).خليل لا يريد المال للثراء الشخصي، بل يريد استخدامه لخدمة الفقراء، لإطعامهم، وإدخال الفرحة إلى قلوب أطفالهم. هذا المشروع يعكس وعياً جمعياً، حيث يرى خليل أن المال المسروق من الأغنياء يجب أن يعود إلى الفقراء، وأن العدالة الاجتماعية تتحقق من خلال إعادة توزيع الثروة.

ثانياً: الصفقة كفضح للفساد

تمثل الصفقة التي تبرمها القاضية مع المصرفي في رواية "الرمادي" كشفاً للفساد الطبقي، حيث تتحول العدالة إلى سلعة تباع وتشترى، وتصبح القوانين أداة في يد الأغنياء لحماية مصالحهم.تقول سارة في وصف الصفقة: "لقد عقدنا... صفقة مفادها تكفل المصرفي بإرجاع كل الأموال التي سرقتها مع تعويض الضرر الذي ألحقه ابنه مادياً مقابل براءة ابنه كما يتكفل بإعطاء أمين بضع رزماً من المال مقابل تحمله تبعات القضية وحده... وكان شرطي الوحيد عدم ذكرك في أي محضر تحقيق لضمان عدم ولوجك السجن" (الرواية، ص١٦)الصفقة هنا تكشف عن فساد النظام الطبقي بأكمله. سمير الذي حاول اغتصاب سارة، يخرج حراً طليقاً مقابل المال. أمين (الخائن) يوافق على تحمل تبعات القضية وحده مقابل المال. خليل ينجو من السجن بفضل الصفقة، لكنه يظل تحت رحمة النظام. والعدالة تتحول إلى مجرد صفقة بين الأقوياء.وتكشف الصفقة أيضاً عن تواطؤ السلطات: "هذا مع تدخل أمي بنفوذها وسلطتها لتخفيف حكمه... نسجت مخططاً أقل ما يقال عنه أنه مثالي يعجز أي محقق عن فك شفراته" (الرواية، ص١٦)القاضية (أم سارة) تستخدم نفوذها وسلطتها لتخفيف حكم أمين، وتنسج مخططاً محكماً يعجز أي محقق عن كشفه. هذا هو قمة الفساد: السلطة القضائية نفسها تشارك في تغطية الجريمة، وتستخدم قوانين العدالة لحماية المجرمين.

ثالثاً: السخرية كسلاح نقدي

تمثل السخرية في رواية "الرمادي" سلاحاً نقدياً حاداً ضد النظام الطبقي، حيث يستخدم الكاتب السخرية السوداء لكشف تناقضات المجتمع، ولتعرية زيف الأغنياء، وللتعبير عن وعي الفقراء بظلم النظام.يقول الكاتب على لسان أحمد (صديق خليل) ساخراً: "هذا أنت فقط لقد ظننت لصاً.. ماشية اااه عفواً لقد نسيت أنك لص أيضاً... روبن هود المدينة هههههه" (الرواية، ص١٣)أحمد يسخر من خليل، ويدعوه "روبن هود المدينة". هذه السخرية تحمل نقداً مزدوجاً: من جهة، تسخر من فكرة أن يكون لصاً بطلاً، ومن جهة أخرى، تعكس وعياً بأن خليل يمارس دوراً يشبه دور روبن هود الأسطوري، الذي كان يسرق من الأغنياء ليعطي الفقراءوتتضح السخرية كسلاح نقدي في حوار خليل مع سمير: "هل تظن حقاً أني أكترث لمالك يا غبي..؟ أم هل تظن أنك ستشتريني..؟ أتعرف ما هي مشكلتكم أنكم تظنون أن كل شيء من حولكم له ثمن" (الرواية، ص١١).سخرية خليل من سمير تكشف عن وعيه الطبقي، وعن رفضه للمنطق الرأسمالي الذي يختزل كل شيء في المال. سمير يعتقد أنه يستطيع شراء خليل، لكن خليل يسخر من هذا الاعتقاد، ويكشف عن قيمته الأخلاقية التي لا تقدر بثمن.

الخاتمة

تأسيساً على ما تقدم، نخلص إلى أن رواية "الرمادي" قدمت نموذجاً سردياً فريداً في أدب النقد الاجتماعي العربي، حيث نجح الكاتب في توظيف السيميائيات والرمزية لتعرية الصراع الطبقي، وتجسيد معاناة الفقراء في مواجهة نظام اجتماعي قائم على الظلم والاستغلال والفساد. وقد أثبتت الدراسة أن الرواية تجاوزت الوصف السطحي للفقر والثراء لتقدم تشريحاً سيميائياً للفضاءات الطبقية والشخصيات والصراع، مبيّنةً كيف تتحول الجهة الشرقية (رمز الثراء) والجهة الغربية (رمز الفقر) والمزرعة (رمز الهامش) إلى نظام سيميائي متكامل يعكس جغرافية الصراع الطبقي، وكيف تتحول شخصيات خليل (رمز الفقير المقاوم)، وسمير (رمز الغني المستبد)، وأمين (رمز الخائن الطبقي)، والقاضية (رمز السلطة الفاسدة) إلى علامات سيميائية تحمل دلالات الصراع الطبقي.تكشف الرواية عن آليات الصراع الطبقي المتعددة: الفقر بوصفه نظاماً سيميائياً ينتج علامات البؤس والتهميش، والثراء بوصفه نظاماً سيميائياً ينتج علامات الترف والاستبداد، والفساد بوصفه نظاماً سيميائياً ينتج علامات الظلم والإفلات من العقاب، والمقاومة بوصفه نظاماً سيميائياً ينتج علامات التمرد والكرامة. غير أن الرواية لا تكتفي بتصوير هذه الآليات، بل تقدم تأملاً نقدياً في إمكانية التغيير، مؤكدةً أن الصراع الطبقي ليس صراعاً اقتصادياً فقط، بل هو صراع على الكرامة والهوية والقيم.وتخلص الدراسة إلى أن "الرمادي" ليست مجرد رواية عن السرقة والجريمة، بل هي رواية عن العدالة الاجتماعية، عن حق الفقراء في العيش الكريم، عن فساد النظام الطبقي، عن إمكانية المقاومة حتى في أحلك الظروف. البطل الذي يبدأ الرواية كلص فقير، ينتهي كبطل شعبي يدافع عن الضعفاء، ويكشف زيف النظام، ويؤكد أن الكرامة الإنسانية لا تقدر بثمن، وأن الفقر ليس ذنباً، بل هو نتيجة لظلم اجتماعي يجب محاربته.وتؤكد الرواية في النهاية أن الصراع الطبقي لا ينتهي بانتصار طرف على آخر، بل يستمر طالما استمر الظلم والفساد، وأن الحل الحقيقي ليس في السرقة أو الصفقات، بل في تغيير النظام الذي ينتج الفقر والثراء على حساب العدالة والكرامة الإنسانية.

المصادر

١. إبراهيم أبو طالب وآخرون، مراحل الرواية في اليمن، عناوين بوكس، ط١، ٢٠٢٥.

٢. أحلام بن الشيخ، مشهديات اليستوبيا في رواية جملكية أربيا لواسيني الاعرج، مجلة دراسات أدبية، عدد٦، ٢٠١٨.

٣. أحمد شقير، أصل الحكاية صفحات منسية من التاريخ الحديث، دار المصري للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠.

٤. أسامة محمود البحيري، معجم المصطلحات الأدبية والنقدية، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط١، مصر، ٢٠٢١.

٥. إنجي خالد أحمد، اليوتوبيا والديستوبيا في رواية أحمد خالد توفيق، دار العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤.

٦. الروائي، الرمادي، ٢٠٢٤.

٧. زينب محمد عبد الحميد، يوتوبيا وديستوبيا الثورة، كتاب 2025 ،inc.

٨. سالم العوكلي، ليبيا وأدب الديستوبيا، موقع الوسط، ٢٠١٩.

٩. بيير بورديو، التمييز: نقد اجتماعي للحكم الذوقي، ترجمة: (يُضاف اسم المترجم)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٤.

١٠. فاطمة برجكاني، الديستوبيا المدينة الفاسدة في الرواية العربية المعاصرة، مجلة اضواء نقدية، عدد٢٩، ٢٠١٨.

١١. فتحي خيرة، مسيردي مصطفى، العجائبية والبعد الديستوبي في الرواية الجزائرية المعاصرة، مجلة النص، مجلد١٠، عدد١، الجزائر، ٢٠٢٣.

١٢. فريدة جمعان القريناوي، تجليات الديستوبيا في الرواية الجزائرية، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، عدد٢، ٢٠٢٣.

١٣. محمود محمد السعيد أبو زهرة، ملامح الديستوبيا في رواية يوتوبيا، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد٣٩، ٢٠٢٠.

١٤. منصف بن خير الدين، محمد بن عسكر، تجليات الديستوبيا في رواية زنقة الطليان، رسالة ماجستير، الجزائر، ٢٠٢٤.

١٥. رولان بارت، دراسات نقدية، ترجمة محمد برادة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٤.

١٦. غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٤.